مجلة الثقافة الجديدة عدد ٣٤٨ سبتمبر ٢٠١٩

..ومقالى الموجز عن العمارة الشعبية.... حيث إهتماماتى بها منذ عام ١٩٥٩.....حتى قيل رائد مؤسس لعلم العمارة الشعبية

تدعيم وفرز الإيجابيات والسلبيات، ومواجهات بما يمكن من تقنيات علمية مستحدثة، ومع الحفاظ على الخواص والملامح والقيم، لأن الفن او المأثور الشعبى لا يطور، فإنه يفقد قيمته الثقافية وإنما يدعم ويرصد ويعالج، ثم من الممكن محاكاته فى إعادة الإعمار فى المبانى المستحدثة فيما بعد الامتدادات والتنميات العمرانية، ويستلهم منه، مع وجوب الإعلام عنها.

وتتوافر من مبانى فى العمارة الشعبية العديد من أنواع المنشآت كمبان قائمة بذاتها أو عناصر أو مفردات، بعضها بعدد كبير جداً مثل المبانى السكنية والتى تمثل أكثر من سبعين فى المائة منها بالإضافة إلى مساجد وكنائس وأديرة ومقابر وأبراج حمام وأسواق أو سويقات صغيرة، ومضايف وأفران ومظلات ومصاطب وبوابات وحظائر وأماكن تربية الحيوانات والطيور وشون غلال ومذابح ومقاه ومجالس وخلوات وغيره..... ثم ومفردات كشبابيك ومظلات وعتبات وأسوار ومداخل وبوابات وأطراف ركنية علوية وأطراف أفقية وخمائل وتكعيبات أعنب ومراسى مراكب وسواقى وغيرها...

اجتهادات شخصية وملاحظات عامة للأسف فإن أغلب ما قد رسمته وصورته انا شخصياً من مشاهد للعمارة الشعبية، عندما بدات الاهتمام بها حول عام ١٩٥٩ بتجوالى الخاص من فترة إلى اخرى، فقد اختفى أو تدهور عند مراجعاتى فى أعوام أواخر الثمانينيات كبداية وزادت مع سنوات التسعينيات وحتى تجوالى منذ بضع سنوات، وطبقاً لأسباب كثيرة مذكورة فيما سبق ذكره، الأمر الذى يبعث على الحزن لفقدان الثروة ولفقدان صور وملامح من الذاكرة الثقافية الوطنية، مع العلم بأنى اجتهدت فى تأسيس علم العمارة الشعبية (والذى أقوم بتدريسه لطلبتى فى معهد الفنون الشعبية بأكاديمية الفنون، منذ سنوات) بالإضافة إلى صدور كتابى عن العمارة الشعبية فى مصر عام ١٩٩١ ولا يوجد وقت كاف لتدعيمه واستكماله).

لقد خصصتُ قاعة عرض محدودة المساحة ضمن قاعات العرض المتحفى ببيت المعمار المصرى ،الذى أسسته فى وزارة الثقافة، وما مقره بدرب اللبانة بميدان القلعة ، بالقاهرة مع بعض توضيحات بقاعة ملحمة تراث العمارة بالفناء الداخلي، حيث مجموعات من الصور والرسومات التوضيحية والنماذج المجسمة، والنداءات الخاصة بذلك.

وأقوم من آن لآخر بإلقاء المحاضرات عن العمارة الشعبية على طلبتى بأقسام العمارة بالجامعات والمعاهد التعليمية، للإشارة وللتوعية، وعلى أمل وجود مثل هذا المنهج ضمن الدراسة الجامعية المعمارية، لمحاولة إيجاد توازن تهيئة طالب دراسة العمارة ما بين المناهج المعتادة والتواصل مع الأصول المعمارية والثقافية.

وبناء عليه ،فإن مدخل إدراك العمارة الشعبية يحتاج إلى دور التربية والتعليم المدرسى أصلاً، والذى يجب أن يكون ضمن التربية الفنية وتهيئة المدرس فى كليات التربية لهذه المهمة واستشعار ثقافة الجمال النابع من الانتماء المكانى بيئياً واجتماعياً واستشعار قيمة وجمالية التوافق البنائى مع الإطار البيئى الطبيعي، واستشعار قيمة العمل الحرفى اليدوي، وما يحويه من أثر نبضات القلب وملامسة الأصابع وتكامل بساطة الإعداد مع تعاظم الجسد، وكيفية الدراسة الميدانية الاستطلاعية والرسم والرصد والتوثيق، وكيفية ملاحظة نظم البناء وعلاقات المفتوح مع المصمت فى الجدران وأسبابها الاجتماعية والمناخية وغيره، كما يجب ترشيد الإعلام الإذاعى المسموع والمرئى إلى كل الجوانب السابق ذكرها، مع الإعداد الجيد للمادة الإذاعية، التى يمكنها توصيل كل تلك القيم إلى المستمع والمشاهد وكذلك ترشيد الجهات والمؤسسات الثقافية إلى كل هذا ليكون نشاط ما بين المعارض إلى الندوات إلى المحاضرات مع الإعداد الجيد لهذا كله، بالإضافة إلى وجوب الإعداد لبناء المناهج الدراسية التى تعرض للعمارة الشعبية ببرامج التعليم المعمارى الجامعى عموماً، مع الإعداد الجيد لذلك بالكلمة والصورة، كل هذا دون أن ننسى دور الدولة الواجب للحفاظ على ما تبقى من ملامح ومناطق العمارة الشعبية واعتبارها محميات عمرانية حفاظاً على الثقافة المحلية والذاكرة الوطنية.

نأمل أن يتم تدريس أنماط العمارة فى مدارسنا وجامعاتنا

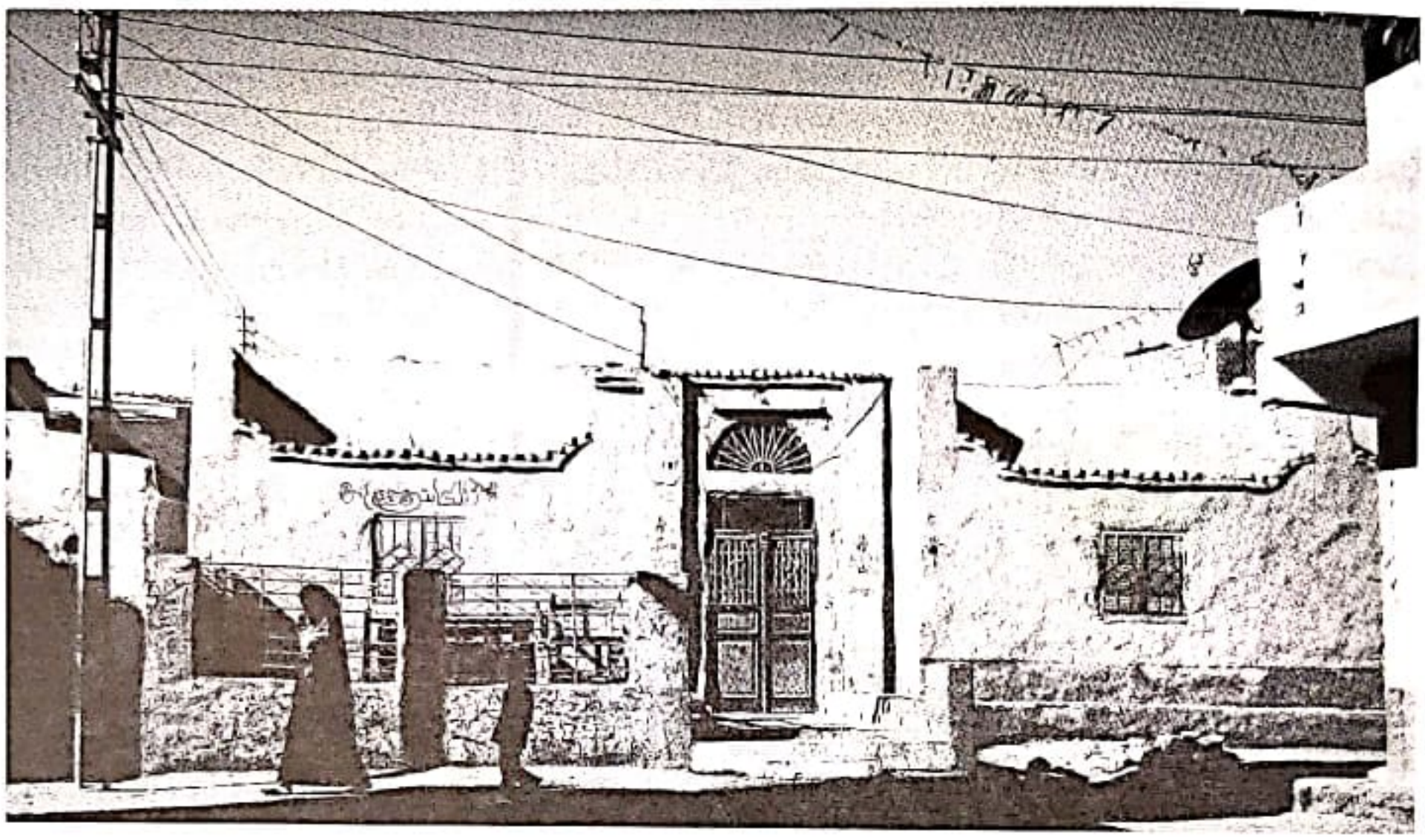

الخارجية أو عند احتمالات مواضع الضعف، كما يتضح التأثير الطبيعى للمناخ المحلى على إجمالى شكل الواجهات حيث نسبة ما هو فتحات إلى ما هو جدار مصمت، وكذلك احتمالات وجود الأفنية الداخلية أو المساحات المظللة وخلق تيارات حركة الهواء، وكذلك وضوح أثر العمل اليدوي، والرمزيات الشكلية المرسومة أو المجسمة المتصلة بالعقيدة أو التعبير عن الحكمة أو القبيلة، أو لمجرد التجميل وحب الزينة أو التفرد والتميز، أو المستوى الاجتماعي، أو المناسبات الخاصة المتوافقة مع العادات والتقاليد والعقيدة.

كما تعبر إجمالاً عن السلوك الجماعى الذى تحتّمه الأعراف، وغالباً ما تنتج مبانيها من خلال تعاون الأسرة الواحدة والأهل والجيرة بالاشتراك مع بانيها ومالكها نفسه، دون وجود مقاول عام إلا فيما ندر، ولو حدث فهو من اختيار الجماعة وليس كما لو كان محترفاً لعمل أو لتجارة، كذلك فإن العمارة الشعبية تحافظ على الثروة الطبيعية للموارد والعناصر على الرغم من اعتمادها عليها.

خمسة أنماط

ومن الضرورة ذكر أن للعمارة الشعبية خمسة أنماط، وكل نمط لا ينبثق إلا عن بيئته المكانية الجغرافية وطول مدة الاستقرار وتراكم الخبرة، وخواص الإقليم، والأنماط هي: نمط العمارة الريفية (ريف الدلتا وريف الصعيد (وسط العمارة الصحراوية، ونمط العمارة السواحلية، ونمط العمارة النوبية، ونمط عمارة الأحياء القديمة من المدن التاريخية والقديمة.

تظل ملامح وخواص كل نمط من الأنماط واضحة ومتميزة ومؤثرة، ولأطول مدة زمنية حسب ما تتعرض له من مؤثرات خارجية عليها، أو مدى القرب أو البعد عن المعالم البيئية والمستجدات البنائية القريبة من حولها، وحسب احتمالات المتغيرات فى الطموحات البشرية لا بنائها والتى استجد معظمها فيما بعد سنوات الستينيات من القرن العشرين، وحسب مدى تمسك أبناء كل نمط بأواصر ومشاعر الانتماء والأصول والتقاليد والعادات الإيجابية، وأيضًا مدى توافر مصادر المواد المهمة للإنشاء،

تنتج مبانيها من خلال تعاون الأسرة والأهل والجيرة بالاشتراك مع بانيها ومالكها

تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة

الثقافة الجديدة

سبتمبر 2019 ■ العدد 348 ■ الثمن 5 جنيهات

القمص مرقس سرجيوس: خطيب المنبرين فى ثورة 1919

السيد عبده سليم: الفنان التشكيلى ليس مشعوذاً

مثقفو وفنانو وأدباء دمياط: خارطة الثقافة المصرية تستعصى على المحو

الشخصيات المغتربة فى الرواية المصرية

العمارة الشعبية

أبنية أثرياء الروح

ملف خاص

لوحة الغلاف الأمامى والخلفى للفنان عز الدين نجيب

ومتغيرات الاقتصاد العالمى والمحلى، ومدى الارتباط بالنشاط الزراعى أو التجاري، وفقدان مقومات الارتباط بالمكان، أو الخلل فى الخطط القومية أو الإقليمية أو العمرانية للدولة ،بفعل جهالة أو عدم الحكمة والرشاد تجاه أهمية ذلك الحفاظ على أسس الثقافة الوطنية المحلية وتميزاتها.

ومعروف عند من يتناول الأمور بالنظرة العلمية فإن العمارة الشعبية هى عمارة فكر وتدبير، وأساسها الاحتياج، وهى عمارة الحرف والتقنيات المتوافقة مع ما هو متاح من إمكانات إنسانية وطبيعية، وهى عمارة التعبير عن ثقافة المكان والسكان والعمران والزمان، وهى عمارة التعاون والحلول الذاتية، ولكنها بنظرة من لا يرى الأمور بالمعايير العلمية هى عمارة الازدراء أو التخلف والتأخر، أو القذارة أو العشوائية، أو القيمة العقارية المتدنية، أو عمارة

تبرز فى خمسة أنماط، كل واحد منها لا ينبثق إلا عن بيئته الجغرافية

الفلاحين أو عمارة الجهل بالحداثة وتقنيات التقدم، أو هى عمارة الحالمين بموضوعات خيال الثقافة والعاطفية.

وللأسف فإن العمارة الشعبية لم تجد لها من يرصدها ويوثقها وينبه لأهميتها، كما حدث مع العمارة الزمانية المتعارف عليها كالعمارة المصرية القديمة واليونانية الرومانية أو العمارة المسيحية أو العمارة الإسلامية أو العثمانية او الحديثة او المعاصرة التى وجدت من يرصد لها سواء من الأجانب أو من المصريين الناقلين عن الأجانب، بل إن الغالبية العظمى يعتبرونها جزءاً من الماضى وهم لا يحبون النظر إلى الماضى الذى يعتبرونه علامة على التخلف، خاصة أن العمارة الشعبية لا تأخذ نصيبها الضرورى من دراسة تاريخ العمارة فى مصر، خاصة أن التعليم المعمارى كله أصلاً منقول عن المفاهيم الأجنبية، غير أنها تحتاج إلى وعى ومعايير خاصة وشمولية فكر واجتهاد، ويثبت انتماء وطنى واستشعار ثقافة الجمال والتوافق البيئى وقيمة العمل البدوي، والقدرة على تأويل المرئيات والعمارة والقدرة على نقل المعلومات.

ومن الدرس المستفاد أيضاً أن مثل هذه العمارة التراثية الشعبية لا تحتاج إلى ما يسمى تطويراً، وإنما إلى

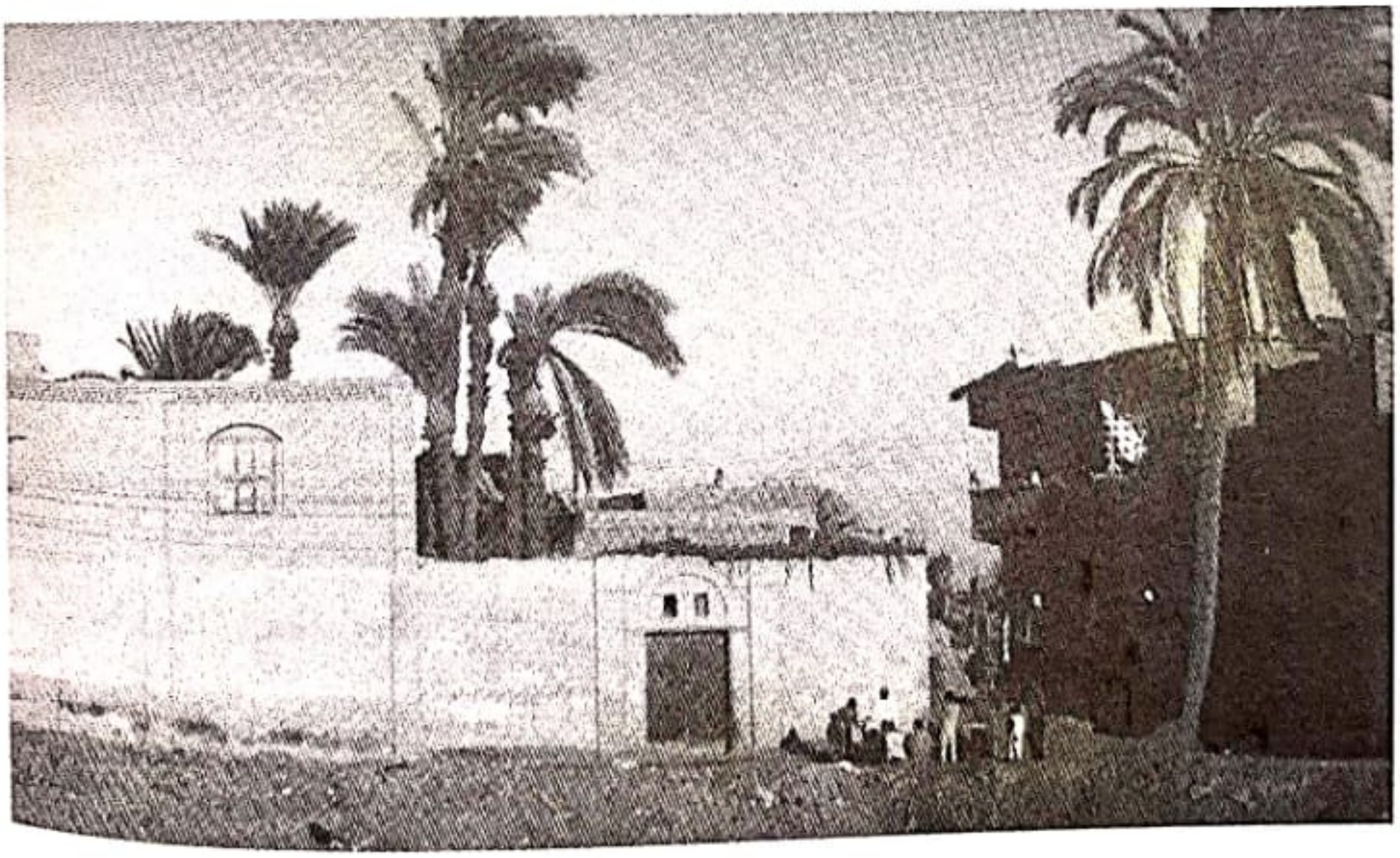

«عمارة مصر الشعبية».. بين تحدى البيئة والتناغم معها

تحافظ على الثروة الطبيعية للموارد والعناصر على الرغم من اعتمادها عليها

عصام صفى الدين

نحن المصريين المستشعرين لعظمة المصرية مكانا ومكانة، والمتعلقين بأواصر الانتماء، ونثبت تميزنا فى بواطن الثقافة وظواهرها، وبما نرجوه من انتباه، والحفاظ على ما تبقى من ملامح للعمارة الشعبية... نشير ونرصد ونكتب ونوضح. ولكن ما هى هذه العمارة الشعبية وسط هذا المحيط الطاغى من الكثافة البنائية والسكانية، والذوق الهابط، وسيطرة رأس المال غير المثقف، وعدم تفعيل الخطط القومية والإقليمية والمدنية السابق دراستها للحفاظ على صيحة توازن العمران والإنسان، والثقافة.

إنها العمارة الشعبية ذلك المجهول، الأصل فى مصرية العمارة منذ زمن الاستيطان الأقدم فى المواقع الموطن المصرى، حيث ما توافرت فيها من مقومات من الاستقرار وممارسة الحياة،لأن العمارة هى أصل الإرساء لقواعد وحرفيات ومهارات وصياغات البناء والعمران، كجوهر وظيفى انتفاعي، ومظهر شكلى جمالى وثقافى، مُعبرة عن الجوهر والمكنون السلوكى والإنسانى التفاعلى التوافقى مع محيطه البيئى ونقصد بالعمارة هنا مفهوم تهيئة المكان كتدبير وبناء لممارسة أنشطة الحياة المنوطة بالإنسان العاقل فى جدوى وجوده ،ونقصد بالشعبية تلك السلوكيات الصادرة تلقائياً عن عموم أفراد البسطاء من الشعب، كاهتمام وحركة حياة واستقرار إلى حين، إلى جانب العقلانية والعاطفية والوجداية.

مفهوم العمارة الشعبية

ولا تسمح هذه العجالة الكتابية بظروفها استعراضاً لأهمية ومحتوى ونتاج عمارة مصر الشعبية، وإنما تكتفى بإشارات فاتحة للتعرف وللتحفز والاستزادة، من حيث هى من أبواب التعرف على الذات المصرية، فهى تحتاج إلى المزيد من المعرفة بالتجوال الميدانى الواجب بالإضافة إلى الجوانب التسعة عشر التالية، وهى منهج النظرة إلى العمارة الشعبية، المقصود بالعمارة الشعبية، شروطها، ارتباطها بالسلوك الجماعي، حيوية استمرارها، دوافع أهمية رصدها ودراستها، منهج وأدوات التعرف عليها، نطاقات تواجدها البيئى والجغرافى، تقسيمها الإقليمى،

يتضح فيها أثر العمل اليدوى والرمزيات الشكلية المتصلة بالعقيدة

شموليتها للكل العمرانى وللجزء المعماري، موادها التنفيذية وحرفيات الإنشاء، صياغاتها الشكلية النوعية وظواهرها ومسبباتها، جمالياتها، وأمثلتها. منهج نقدها المعياري، عوامل تدهورها واضمحلالها، تواجدها فى الأمثال الشعبية، المصطلحات فى مجالاتها، أوجه من ارتباطاتها وتكتلاتها مع باقى الفنون والمأثورات الشعبية، وإنما نستعرض فى هذا المقال مجموعة من المعانى الموحية ب القصد.

ترمز العمارة الشعبية إلى وحدة المزاجية الإنسانية وسلوكها الفطرى تجاه الإنشاء، بما هو إبداع فنى إنشائى وتشكيلى بنائى تلقائى بسيط، يرتبط بالإقليمية والبيئة المحلية جغرافياً، ولا تصدر عن دراسة للعمارة أو للهندسة كدراسة منهجية، وإنما هى عن خبرات تراكمية مُكتسبة ومتوارثة، وعن ذوق وسلوك جماعى عام، ويمثل التراكم الزمنى أحد معاييرها الأساسية، لتأكيد ثباتها وصلاحيتها التعبيرية، فضلا عن مجهولية شخص المبدع الأصلى القائم بتنفيذها، كما توضح إنسانية الإنسان واستقراره المكاني، وطلاقته السلوكية، ومعتقداته، وتعد ترديداً لنفس الخصائص والتأثيرات الوجدانية فى باقى الفنون الشعبية الأخرى، وتؤكد ملكة التحايل المعماري وقوة التحدى للظروف البيئية.

ولا تنفصل معرفتها عن معرفة تاريخ ومواصفات مواقعها الإقليمية وجغرافيتها بيئياً ومعمارياً واجتماعياً واقتصادياً ومناخياً، ونوعية المواد الصالحة للبناء فى إقليمها للتأسيس والإنشاء والتشطيب والتزيين، وعلاقاتها بالثقافة سلوكاً انتفاعياً وجمالياً وتعبيرياً، وعلى هذا ليس المقصود بالشعبية توصيفاً مادياً اقتصادياً، وهى متغيرة فى صياغتها الشكلية بمتغيرات المواقع والمواضع والأقاليم البيئية واختلافاتها الحتمية، وموادها البنائية، وتاريخها الاجتماعى وخبراتها، تعبيراً عن فن جموع متآلفة من البشر، مع ما يتأثرون به كمحيط بيئى طبيعى أو عمرانى بنائى سابق أو معاصر، حيث تعتمد كلية وكشروط عامة على بساطة المتطلبات الانتفاعية، وعلى إجمالى العادات والتقاليد والأعراف، وعلاقات إلجيرة، وعلى تواضع مادة الإنشاء، وبساطة التشكيل، ووضوح ما يشبه هيئة الجسد العضوى الواحد على إجمالى المشهد المعمارى والعمرانى العام لمجموع المبانى المتجاورة أو المتلاصقة أو المتقابلة، حيث تتكامل مبانيها وعناصرها ومفرداتها مع بعضها البعض كجسم بنائى واحد، متخلخلاً أو متلاحماً، وتتضح على هيئة كل مبنى، فى حد ذاتها أثر التماسك ومحصلة خطوط القوى فى الأحمال الإنشائية، سواء أكان ذلك فى سمك الجدران الحاملة أو خطوطها الخارجية المعبرة عنها، أو الدعائم والأكتاف متنوعة المواضع حسب الاحتياج لذلك، سواء فى موضع تلاقى الحوائط عند أركانها

١● تعريف المعمار :-

هو الهيئة الشكلية للجسد البنائي ، بالمظهر الذي يتميز بمواصفات خاصة به ، وتدل على ثقافة تفاعل فكر وارادة وجهد الإنسان مع الكتلة البنائية ، والتي استهدف وجودها تأسيساً وانشاءاً وتشطيباً وتزييناً ، معبرة عن احتياجاته ، وفقاً لما يستهدفه وما يفضله للوظيفة النفعية والجمالية ، وتختلف الهيئة والمظهر طبقاً طبقاً لخصائص البيئة للمكان وتتابع الزمان ولسلوكيات الإنسان والمواد التي وظفها لتحقيق الكيان .

٢● مفهوم المعمار :-

هو مجموع المواصفات الشكلية للجسد البنائي المرئي ، بما يحويه من ظروف وعوامل متنوعة متعددة أدت لتميز هيئته وملامحه وخواصه ، ووفق بيئتها الطبيعية والعمرانية والانسانية التي تواجد خصوصية تميز الشكل وظيفياً نفعياً وجمالياً انام الساكن والزائر والعابر ، معبرة عن ثقافة المكان والانسان .

٣● تعريف العمارة :-

هي فن يستند إلى علوم طبيعية وعلوم إنسانية ، كفعل إنساني إرادي بالتحقيق وجود حيز مكاني لممارسة أنشطة وحيوية الحياة ، ابتداء من الاحتياج إلى حصر الأهداف ، إلى الانجاز ، وفقاً للامكانات المادية والاقتصادية ، مروراً بالمنفعة والمتانة والتعبير والجمال ، وتختلف في خواصها المظهرية والجوهرية طبقاً لثقافة من بناها ، كما تختلف كشكل من موطن لموطن ومن اقليم لاقليم ، ومن موضع لموضع ما بقدر فعالية مجموع المؤثرات الطبيعية والانسانية ، والخبرات التراكمية التي تكسبها خصوصيتها .

٣● مفهوم العمارة :-

هي فن يستدرك علوم طبيعية وعلوم انسانية لتحقيق حيز لممارسة الأنشطة الحيوية ، وتكتسب خصوصيتها من مجموع عوامل بيئية وارادة إنسانية ، وانتماء محلي .

٤● موجز تعريف ومفهوم لبعض ما يتعلق بالموضوع :-

١:- الشكل المعماري :- هو الوعاء الشكلي الجسدي البنائي الذي هو بوجه عام ضمن إطار بيئي طبيعي له خواصه ، سواء أكان الناتج تلقائياً تراكمياً أو إرادياً وفق خطة وعلوم منهجية متعددة ، وتشريعات خاصة .